

## دور الدراما الإبداعية في التربية

"أثبتت الرجال وأفواهم في مواجهة تحديات الحياة، هم الذين أتبع لهم في طفولتهم أن يلعبوا لعباً صحيحاً وكثيراً".<sup>(١)</sup>

هيلده كاردهيزر Hilde\_Gurd Hezer (عالمة نفس ألمانية متخصصة بالطفولة)



سميرة دعبول

مدرسة دراما

ثانوية الإيمان - صيدا

واكتشاف ميوله ودوافعه مما يسهل استعداده للتفاعل والتكيف مع واقعه، وهذا بالتالي يهيئه لمواجهة المستقبل بجرأة وعزيمة. وقد اتجهت حركة تطوير المناهج المعاصرة إلى مجموعة مرتكزات أساسية ترفد العملية التربوية وترتقي بها، ويأتي على رأس هذه المرتكزات الاهتمام بتطوير مهارات التفكير الإبداعي التي تذكى جذوة التفوق والابتكار عند الفرد، وتنمية القدرة على صنع القرارات وحل المشكلات "وتنشئة مواطنين يمتازون بالتكامل من النواحي الفكرية والروحية والوجدانية والجسمية"<sup>(٢)</sup>. وتسهم في إنشاء مجتمع حضاري متقدم، قائم على الوعي والتسامح، ساع إلى التجدد والتطوير والإبداع، لذا أدرجت مهارات التفكير في قائمة المواد الدراسية في العديد من دول العالم، كالولايات المتحدة وكندا وفنزويلا وبريطانيا... وثمة مشاريع لتعليم التفكير في بلدان أخرى كالهند وماليزيا<sup>(٣)</sup>... وبلا شك فإن المستقبل هو للتفكير الإبداعي الناقد المتحرر من التوجيه المباشر، فالتلقين ونقل المعارف الجاهزة من المعلم إلى المتعلم لم يعد أسلوباً مناسباً في هذا العصر.

ولما كان الشباب دوماً وقود التغيير، فإن صناعة الأجيال الإبداعية تبدأ في محاضن الطفولة، ذلك أن الأطفال هم رأس المال الأمة ورصيدنا الاستراتيجي، وانطلاقاً من هذا المفهوم انطلقت "الدراما الإبداعية".

يواجه العالم المعاصر سلسلة من المتغيرات المتسارعة في ظل ثورة الاتصالات التي أفرزت مجموعة من التحديات البالغة الأثر على مستقبل البشرية، فقد فجرت طوفان المعرفة وحركت المكان، فعبوضاً عن انتقال الإنسان من مكان إلى آخر طلباً للعلم أو التجارة أصبح بالإمكان نقل المكان إليه عبر وسائل الاتصال المذهلة كالحاسوب والإنترنت... وهذا بدوره أحدث تحولاً جذرياً طال كل مجالات الحياة الإنسانية وتوجهاتها ووسائلها وخطتها المستقبلية... ومن الواضح أننا على "عتبة ثورة أخرى، فالمعرفة البشرية تتضاعف مرة كل عشر سنوات!"<sup>(٤)</sup>.



تمرين على استخدام قطعة قماش بأوجه متعددة

إن الواقع المستجد بكل تداعياته يقتضي تغييراً في المجالات كافة ولا سيما في الميدان التربوي، كيف لا؟! وعلى مقاعد الدراسة يصنع مستقبل الوطن! ومن هنا، فقد صار من الضروري تطوير الطرق التعليمية وانشطتها، وابتكار سبل ووسائل جديدة تلائم العصر وتواكب عملية التغيير لتحقيق أهداف العملية التربوية في إعداد الفرد لمواجهة تحديات الحياة وإلى هذا المعنى أشار "هاربرت" بقوله: "إن الغرض الأساسي في التربية هو إعداد الفرد للحياة الكاملة"<sup>(٥)</sup>. وتهدف التربية المعاصرة إلى صوغ شخصية ناجحة متوازنة متفاعلة مع بيئتها انطلاقاً من مخاطبة عقل المتعلم، وتلمس أحاسيسه ومشاعره،



الصف يتحول مع الدراما إلى مساحة تعبير

فما هي هذه الدراما، وما هي أهدافها؟

من الطريف أن قطاعاً من المثقفين والقراء يقعون في لئس أمام عبارة "الدراما الإبداعية" فيظنون أنها لا تختلف عن الدراما المسرحية وهي بالتالي نوع من التدريب على التمثيل! وهذا توهم غير صحيح، ففي المسرح يكون العمل المسرحي معداً ومتسلسلاً ويحمل مضموناً قصصياً، وقد تمّ تدريب الممثلين عليه لأنه معدّ أساساً للمشاهد. أما في الدراما الإبداعية فليس الهدف هو المشاهد وإنما الهدف هو اللاعب نفسه أي المتعلم، وبمعنى آخر هو تعبير اللاعب عن حقيقة دوافعه وروئيته ومشاعره خلال اللعب الدرامي.

وكما أن حصة الرياضة لا تهدف بالدرجة الأولى إلى صنع أبطال أولمبياد بقدر ما تلبّي حاجة جسدية عند التلاميذ، فإن التدريب على التمثيل ليس الوظيفة الأساسية للدراما وإن كان أحد وظائفها. والمعلم لا يلعب في الحصة دور المخرج بل يكتفي بدور الموجه ويترك للأطفال التعبير بعفوية وتلقائية.

يعرّف ريتشارد كورتني "الإبداع الدرامي أنه فن وأنشطة اجتماعية وطريقة للتعليم... والدراما هي أحد أهم الفنون التعليمية لأنها تسهم في جعل التلميذ يشارك بكيّته، فكراً وجسدياً وشفوياً وعاطفياً واجتماعياً"<sup>(١)</sup>. فالدراما هي فن تعليم المهارات للأولاد قبل

هذه الدراما تفتح المجال للمتعلّم لإدراك الروابط الخفية بين الأشياء، والنظر إلى الأمور من زاوية جديدة، إنها تدريب على الرؤية العميقة والشاملة للأشياء وبشكل ذاتي انطلاقاً من رفض الفكرة الشائعة بأن المتعلم غير مؤهل ولا يملك القدرة على اكتشاف الحقائق بنفسه، وأن وظيفة المعلم تكمن في إرشاد التلاميذ إلى الحقائق ونقل المعارف الجاهزة إليهم. والدراما الإبداعية تسعى عبر تحريك الخيال والألعاب المختلفة إلى تحويل المتعلم إلى متفاعل إيجابي بدل أن يكون مجرد متلقٍ سلبي.

وتتميز الدراما الإبداعية كأحدى الوسائل التربوية بمجموعة خصائص، تأتي في مقدمتها أنها تقوم على فكرة اللعب، مما يجعلها



تمارين داخل الصف

محبة في نفوس التلاميذ لأنها تستجيب لفطرة الطفل وحاجته. وفي اللعب "يعبر الطفل عن ذاته وينجب عالمه، وفي اللعب يتغلب على الخوف، وي طرح عنه الخنق والتعدي، ويتخلص من أخطائه، ويكافح العزلة..."<sup>(٢)</sup>. واللعب الدرامي يتميز بأنه يجمع بين التعلّم واكتساب المهارات فضلاً عن التسلية في الوقت نفسه، أي أن الطفل يستمتع باللعب وفي الوقت نفسه يتعاطى الجدية مع خطوات اللعب المتتالية. فالتمتع والجدية هما الأسلوب الذي يتحقق من خلاله التعليم، كما يقول "بياجيه".

والدراما تهتم بالمشاركة الجماعية فالكل له دور، وليس هناك تمايز بين التلاميذ، وبذلك تلغي فكرة "البطل" في اللعب الدرامي، مما يحقق هدفاً رئيساً يتمثل في الثقة بالنفس والجرأة على مستوى الفرد، وهدفاً جماعياً من خلال تنمية مفاهيم الاهتمام بالآخر واحترامه وقبوله أيًا كانت الفوارق ووجوه الاختلاف معه.

وما من شك أن هناك اختلافاً بين الأولاد وتفاوتاً في القدرات والإمكانات، لكن اللعب الدرامي لا يستثني أحداً، لأنه ينطلق من مبدأ مفاده أن كل واحد من التلاميذ قادر على المشاركة والعطاء إذا شعر بالاحترام والتقدير لقدراته.



التعلم من خلال اللعب الدرامي

وأثناء عملية التعلّم، وذلك عبر التعبير عن الفكر بالحركة، مما يرسخه في ذهن المتعلم. والأنشطة الدرامية هي مجموعة ألعاب ومهارات تتشارك في تدعيم أسس الشخصية الرئيسة كالخيال والتركيز والنطق والإدراك... والدراما بهذا المعنى تستجيب لهدف التربية المتمثل في "تنمية قدرات الأفراد واستعداداتهم وإكسابهم القيم والأفكار والاتجاهات ليمارسوا أدوارهم بكفاية وفعالية"<sup>(٣)</sup> وبالتالي فإن الدراما تعنى بتنمية الاستعدادات الفطرية والمهارات والقدرات الذاتية، فهي وسيلة تعليمية فضلاً عن كونها بالدرجة الأولى وسيلة تدريبية تتيح فرص النمو العقلي والنفسي والاجتماعي إضافة إلى المهارات المعرفية والقدرات الإبداعية.



تمرين على استخدام الجسد

التي ترسخ مهارات عملية (التواصل، التعبير الحركي، الارتجال...). كما استخدمت الدراما الإبداعية في تحسين القدرات الذهنية والحسية عند المتعلمين من خلال الألعاب التي تساعد على تقوية مهارات الإصغاء والتركيز والخيال والذاكرة...

إن هذه التجربة ما زالت في بداياتها، إلا أنها ومن خلال بعض النتائج الأولية تبشر بخير كبير في مجال تنمية الجوانب النفسية والحركية والتعبيرية والذهنية والاجتماعية عند الأطفال، كما تساهم في حل مشكلاتهم. والأمل كبير في أن تلعب الدراما الإبداعية دوراً مهماً في تفجير الطاقات الإبداعية عند رجال المستقبل ■

#### الهوامش

- ١- ولدت، هذا الكائن المجهول، أوسفالد كوله، ترجمة د. أمين رويحة، دار القلم بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٤، ص ١٩٣.
- ٢- رؤى مستقبلية، ميتشو كاكو، سلسلة عالم المعرفة الكويت، عدد ٢٧٠، حزيران ٢٠٠١، ص ١٢.
- ٣- التربية الميدانية وأساسيات التدريس، د. مهدي سالم ود. عبد اللطيف الحلبي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٢، ١٩٨٨ ص ٧٩.
- ٤- تدريس مهارات التفكير، جودت سعادة، دار الشروق عمان، الطبعة الأولى ٢٠٠٣، ص ٧٧.
- ٥- انظر: دليل مهارات التفكير، ثائر حسين وعبد الناصر فخرو، دار الدرر عمان، طبعة ١، ٢٠٠٢، ص ٩-١١.
- ٦- Creative Drama in the class room. Dr Nellie Mc Caslin. 5th ed. Players Prees. Inc. Studio City, California. P.1.
- ٧ التخطيط التربوي، د. أحمد الحاج محمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ط ١، ١٩٩٢، ص ٥.
- ٨- ولدت، هذا الكائن المجهول، مرجع سابق، ص ١٩٢.
- ٩- Creative Drama in the class room P.5.

ومن خصائص الدراما ترسيخ مفهوم الحرية: تقول: Nellie Mc Caslin "كل وليد يبدع عالماً بطريقته الخاصة ليستطيع التصرف في الحياة الواقعية فيما بعد"<sup>(٩)</sup>. فالدراما تدفع الجميع إلى المشاركة لكنها لا تحدد للمتعلم جواباً، بل تترك له أن يحلل ويفكر ويتخيل ويستنتج كيفما يشاء. أليس هذا المبدأ المطبق في الحياة الواقعية؟ وبقدر ما يشعر الولد بالحرية ويجد قنوات الاتصال مفتوحة، ويسمح له بالتعبير الذاتي غير الموجه والتفكير المستقل بقدر ما يشعره ذلك بإنسانيته، ويعزز ثقته بنفسه، ويساعده على اكتشاف قدراته الخفية وتنمية مهاراته، وهذا من شأنه أيضاً أن يهيئ جواً مناسباً لعملية التعلم، ويغرس في الأولاد روابط الانتماء للوطن والتواصل مع الآخرين.

انطلاقاً من كون الدراما الإبداعية تركز على تحقيق الأهداف أكثر من الاهتمام بمقرر محدد. لذا نجد أن الواقع الاجتماعي وظروف المتعلمين تحدد لمعلم الدراما مسار خطته ويمكن تحديد ثلاث مهمات رئيسة لمعلم الدراما:

- تحديد حاجات المتعلمين انطلاقاً من التفاعل معهم.
- رؤية الأشياء من وجهة نظرهم.

- وضع تصميم فني للأنشطة يتلاءم مع حاجاتهم يتبع ذلك القيام بتقييم لبيان مدى تحقق الأهداف المرجوة.

ونظراً للآثار الإيجابية الكثيرة للدراما الإبداعية فقد بدأت تأخذ دوراً رئيساً في المناهج، وأعطيت اهتماماً في المؤسسات التربوية في دول كثيرة، لا بل أدخلت الوسائل الدرامية إلى الحصص الدراسية على اختلاف أنواعها رغبة في تسهيل العملية التربوية.

وفي تجربة عملية عبر سنوات عديدة في ثانوية الإيمان-صيدا، تم تخصيص مساحة مهمة للدراما المسرحية. ومن خلال التجربة تبين وجود مهارات كثيرة وطاقات إبداعية لدى التلاميذ لا تأخذ حقيقتها، نظراً لمحدودية العمل المسرحي، مما يحرمهم من إبراز مواهبهم وتعبيرهم الذاتي، وإظهار رؤيتهم الخاصة...

وبعد دراسة قامت بها إدارة المدرسة واطلاعتها على المناهج في عدد من الدول، قررت إدخال مادة الدراما الإبداعية ضمن مقررات المنهج كحصّة أسبوعية في قسم الروضات والحلقة الأولى، وصولاً إلى الصف السادس لاحقاً.

وقد اعتمدت الدراما الصفية لترسيخ مفاهيم أخلاقية في نفوس المتعلمين بعيداً عن الوعظ المباشر، وذلك عبر مجموعة من الأنشطة والألعاب التي تهدف إلى (تقبل الآخر، احترام آراء الآخرين، العمل الجماعي، التسامح...). واستحدثت مجموعة من الأنشطة الدرامية